(١)

عالم الرشاد والمرشدون
إنسانية الحياة في لانهائي الإنسان

حديث الجمعة

٣ رجب ١٣٨٢ هـ - ٣٠ نوفمبر ١٩٦٢ م

باسم الوجود المقدس

باسم الذوات الأقدس

باسم الحياة للحي القيوم

باسم العزة للعزيز الحكيم

باسم الإنسان الجليل الكريم

باسم الذكر القديم

باسم الحق القويم

باسم الهدي الرحيم

باسم القيام الأعظم للقيام العظيم

باسم الله الرحمن الرحيم نعوذ ونلوذ، ونستغفر، ونشكر.

{إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[١]، من عباده وحقائقه لهم وبهم يرحم، ولهم وبهم يَشهد ويُشهد، ولهم وبهم يميت ويحيي، وعليهم وبهم على الناس يقوم، قائما على كل نفس بما كسبت ومن وراء كل نفس محيط. لا يظلم الله الناس شيئا ولا يظلمونه شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون. لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت. من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها. هداه السبيل إما شاكرا وإما كفورا. غنيا عن العالمين لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية. ذلكم الله في

معنى الرب على الناس نزلة وأخرى للحق رسولا من أنفسهم، يوم أنهم للحق يشهدون، وبه يؤمنون، وله يقومون، وبالسجود يتقلبون، فإليه وجها له ينقلبون. كل من عليها فان ويبقي من صار وجهه.

إن الناس بمؤمنيهم وجاحديهم واحدية وأحدية بظاهرهم وباطنهم لإنسان واحد أحد، هو بنفسه لذاته ظاهر لباطن. وهذا الإنسان الواحد مسبوق وملحوق بعين معناه من إنسان كامل بوصفه في ذاته لنفسه من ظاهر وباطن، وهو مع سابقه على ما هو مع لاحقه يقوم في اتصال يجعل منهما وحدة تكون لنفسها بهما ظاهرا وباطنا، في حاضر الحياة في حضرتيهما بحاضرها، الظاهر في كل منهما لمفرداته. وبالشق الآخر باطنه لنفسه لحاضره بنفسه، وهذا الأمر قائم مع مسبوق الإنسان الكل وملحوقه على السواء، قيامه مع مفرداته لبعضها البعض في وحدته.

ولا يوجد إنسان كل مدرك لكليته وواحديته في ذاته ومعناه إلا وهو مسبوق وملحوق بعين ذاته ومعناه في وحدانية معه. فإذا انتشرت صلته بالوحدانية مع مفردات السبق واللحاق في تعادل بينهما قام القرآن أو القانون في قيام معناه بقيام الميزان فيه والاتزان له، وبذلك تقوم به وحدانية التثليث والتخميس والتسبيع والتعديد إلى ما فوق ذلك من فوقه، وإلى ما تحت ذلك من تحته. وبالنظر إليه والارتباط به تقوم الوحدانية الخالية من التعديد إلى الحقيقة الواحدة للنفس في النفس وما ينتج عنها، وفي الأكبر الذي تبحث عنه في معراج لا يتناهى للنفس في كسبها، ولا يتناهى إلى الغاية تعاليا وتدانيا.

وهذا ما قامه محمد وبه فتح للبشرية متابعته عليه سواء من أهل السبق أو اللحاق لقائمه في كل قيام له بذواته ومعانيه، وبذلك أصبح معلم الجنس وفرده وواحده. به يعرف ربه ويوصل وبهما يعرف الإله ويوصل، وبهم يعرف الله ويتحدث عنه وتقوم المعاملة معه، ويقدر حق قدره. وبذلك تعرف النفس البشرية معاني الحق لها، ومعاني الباطل من أمرها بفعلها فتتخلى عن أغلفتها من عملها من الشيطان وتسفر بجوهرها بحقها من الرحمن.

فوصف السبق واللحاق قائم لكل من كان كلا بنفسه من ذاته ومعناه لا سلطان للزمن عليه ولا اتجاه للزمن فيه ولا زمن له. الأزل والأبد يتجددان بدءا منه وينتهيان عنده وصفا له، ويأخذ أحدهما وصف الآخر حسب وضع مفرداته فيه من كلي وحدته.

وهذا ما عنى من لفظ التبليغ {وخلقناكم أزواجا}[٢]، وهذا ما أشار إليه الرسول من أن الله ما ظهر في شيء مثل ظهوره بالإنسان قديما وقياما وأبدا. ولما كان الله ظاهرا أزلا وأبدا وقياما ولا يطرأ عليه التغيير كان الإنسان فيه بوصفه من الأزل والأبد والقيام، وكان الإنسان فيه ما صار إنسانا لا يطرأ

عليه التغيير سواء في وصفه من الخلق أو في وصفه من الحق، ما اتصف بوصف الإنسان في طور الخلق أو اتصف بوصف الذكر لصمد الخالق، ظاهرا لباطن فيه به، وباطنا لظاهر به فيه.

إن للإنسان صمدية بوصف الخلق، كما أن له صمدية بوصف الذكر للخالق وهو في قيامه البشري في طريقه إلى معنى الإنسان له لم يصبغ بعد بأي وصف منهما، والأمر بيده بأمانة الله له وأمر الله له والله مجيبه لما يطلب بقدرته أودعها نفسه يصبغه ويطبعه على ما يريد من أحدهما. لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، ولا يستوي الأعمى والبصير، ولا تستوي الظلمات ولا النور، ولا يستوي من ضل عليها ومن اهتدى إليها، ولا من دساها مع من زكاها، ولا من ردها إلى الله لتكون نفس الله ومظهر الحق، ومن احتفظ بها لتكون نفسا له، ومظهر الخلق كلما نضج له جلد بدل غيره.

الإنسان بظاهره وباطنه في أحديته وبصوره في واحديته أمر الله. وهو بحضرته في وحدتها ظاهر لباطن للإنسان من سبقه، عنه وجد في أزل. كما هو باطن لظاهر للإنسان منه يتواجد في أبد. فما تمت للإنسان حضرة بذاته في وحدته تمت له نعمة الله، إنسانا أو ابنا لإنسان أو خليلا لإنسان، ولا تتم له هذه النعمة إلا بتمام كفايته الذاتية بقيام الصلاحية للمخالة لحضرة سبقه من الإنسان له، وتقبل وطأته بالمحبة المفنية والإيمان المقيم واليقين الثابت في رعاية الأعلى لهما من حضرة إنسانية في شهودهما من واجب الوجود من إنسانيته لا حد ولا حصر لها من أهل الرشاد في الشهادة والغيب إلها له بهما وعندهما.

إن رقي حضرة ذاتية للإنسان بالصلاحية للخلة مع الأعلى، إنما هو في تطورها الذاتي لصلاحيات الأعلى بالانشقاق عنها إلى حضرات منها ترعاها، إلى مستويات التعادل معها والتكامل الذاتي في ذاتها وعلى صورتها، وهذا ما عناه التبليغ بقوله {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون}[٣]. إن آدم وعيسى حضرات في وحدة بالنسبة لآدم لهما، وهما في الوقت نفسه حضرتان في تطور بالنسبة لهما من ظاهر لباطن لهما {إني متوفيك ورافعك إليّ}[٤]. ويوم يتم لعيسى ما تم لآدم ويظهر منه معناه على ما ظهر هو من آدم بمعناه يتم لآدم مع ربه ما يتم له معه ربا له بتواجد حضرتين متكاملتين لإنسان من ظاهر وباطن له. وبذلك يكون ظاهره بعيسى كلمة الله كلمتان من ذات وروح في اتحاد، وباطنه بآدم كلمتان من روح وذات في اتحاد فيصبح لكل منهما كلمة الله الروح القدس وكلمة الله الذات الأب المقدس، فإذا ما انشقت حضرة الإنسان كلمة الله الابن للإنسان إلى حضرتين، وانشقت كلمة الله الأب إلى حضرتين كذلك تمت للإنسان الأكبر لهما وحداته بحضراته من معانيه بالأب والابن والأم لذاته، والروح القدس لمعناه لذوات صفاته في الذوات والروح في حضراته ببواطنها لمعانيه، وظواهرها لبيته ونصبه من عوالمه بذواته لمعانيه.

بذلك كانت حضرات الإنسان الأحد موصوفة بصفات ظاهر الإنسان من الخلق بوحداته من الأب والابن والأم والإنسان الأحد إنما هو نور الله من روح الحياة العظيم للروح اللانهائي في مشروع الحياة الأبدي للحياة الأزلية، بقيام متجدد متعارف إلى معناه السابق في قائم الإنسان السرمدي لتحقيق مراد روح الحياة اللانهائي للمعرفة عنه والتعارف إليه، بمظاهره لمظاهره بما يتم من كلماته التامات، إلى ظواهره بأوادمه من الخلق ظاهرا لباطن، متكاثر متجدد متواجد، في قيام صمدي لمشروع الحياة الأبدي المتجدد مظهرا لكمال روح الحياة العظيم من الأعظم لقائم الحياة الأزلي.

تتوحد حضرات الآدم الواحد القائم مع قديمه ولاحق من مثاله، فيتحقق للقديم معنى الآب لأزلية الإنسان وغيوبه بحضراته، ومعنى الأب لأبدية الإنسان عليه يقوم ومنه يتجدد ويتواجد، فيصمد بحضرته ويتسرمد بها متأزلا متأبدا بفعله لذواته ومعانيه روحا لقدس الله لهما وبهما بمعنى الآباء والأبناء.

هذا هو البيت الذي تواجد فيه عيسى قديما، ومنه ظهرت أمه، ومنها ظهر هو، وهو بيت لآدم من أوادم في إنسان لله من إنسانية له. وهذا هو الشأن في أمر آدم يوم تمت له كلمة الله له، فصار إنسانا لله آب إلى سبق وتكاثر بالأبناء إلى لاحق من إنسان لله عرفه في طريقه لمداناة عوالم الخلق، وهذا هو المعروف بالبيت المرفوع من بيوت ترفع في دوام.

وهذا هو الشأن مع محمد الله وعبده ورسوله، فقد كان بذاته ولما يصدر عنه خلقا وآدما وعبدا. وهو في ذاته آب للاحق من أبناء، وابن لسابق من آباء، فكان بروحه بين آباء لا حصر لهم وأبناء لا توقف ولا حصر لهم كذلك. فكان بذلك الإنسان اليوم أو إنسان الحاضر، والروح الأم بين أبوة الماضي وماضيه وبنوة المستقبل ومستقبله، فصح له في ذاته وفي معناه أوصاف الإنسان بالآب والأب والابن والجد والأم والروح في آن واحد. وتواجد به للبشرية جماع أوصافه لمفرداتها ما تابعته، ولمجتمعاتها ما تجمعت على غرفه، وما ركبت سفنه، وما تواجدت على معانيه ومبانيه متعرضة لنفحات القانون الإلهي بنصبه من ذواته من أنفسهم، وبذلك كان معنى البيت القائم الموضوع.

وهذا ما عناه التشريع السماوي معه من المطالبة بالصلاة عليه والتسليم له تخلقا بأخلاق إنسانية القدم المتحققة بالقيام بأخلاق الله قائمة بذكره لفردها وجمعها المشار إليها، والمعنونة قولا ولفظا بحضرة الله وملائكته، وما حمل من النبأ عن فعلها من الصلاة عليه وعلى أمته الأبدية من البشرية وما يصدر عنها من قيام إنساني وبشري متلاحق من عوالم الروح والذات في مشروع الحياة الأبدي.

لقد كشف هذا عن قانون الحياة لروح الحياة اللانهائي وبذلك ظهر الدين كله، بما أظهر الرب عليه عبده من أمر نفسه ومن أمر ربه أمرا له، ومن سبيل ربه سبيلا له، فعرف العبد من نفسه أمر نفسه عبدا وربا، وعرف أن وصف الرب والعبد والإله وصف لذات واحدة ولمعنى واحد للإنسان الواحد في حضرات له تتلاحق بالتداني، وتتعالى بالعروج فيه في الوجود له، بروح الحياة اللانهائي علما عليه وقياما له فتمسك بوصف العبد لنفسه. وأضفى وصف الرب منه على العبد له. دعا إليه باب مدينته، وكتاب علمه، وسيد قومه، وعترة كتابه، وذا القرنين لأرضه وجمعه، معرفا هو عن ربه، متواضعا بنفسه عن نفسه، عافا عن فعله وعن خلق ربه وخلقه متخلقا بخلق مربيه وربه معه بمعنى عينه، مؤاخيا بوصف العبد، فياضا من أمره في ستر بمقامه من وصف الرب له، ومن ولايته ورعايته ناسبا لربه كل فعل له أو من غيره، وإن لم يرَ غيره في قائم رؤيته لربه.

صبر محمد لأمر ربه به حتى يظهره ربه به متخليا عن وصف العجلة له بوصف مخلوق الإنسان له، متأدبا بما أدبه به ربه من خلقه، فتخلق وما زال يتخلق بخلق ربه فأظهر ربه للناس بمن اصطفى لأمره، وما زال. وإن ربه لبالغ به أمره في نشر أمره.

لقد قام دين الفطرة متجددا مع محمد على أساس من الواقع المشاهد. منه يبدأ معنى الوجود لكل كائن، وإليه يعود الكائن بتمام ما كان له في معناه بظاهر قادم، على عين صورة قيامه من ظاهر قائم في قانون دائب عامل في أمر الفرد والجمع والبشرية.

ضرب بمحمد في ذاته وبيته وصحبه وأمته المثال المراد إبرازه للأفراد بفرده، وللبيوت ببيته، وللجمع على الحق بصحبه، وعلى مواصلة الحياة معاني بدئها ونموها أو الانقطاع عن مثاليتها قامت، والازورار عن حوضها امتلأ، والضمور الذاتي بوقف التجدد بالتغذية والورود. وبذلك تلاقى به طرفا الإنسان من الأب والابن على الأرض. وهذا ما أراده المشرع الإسلامي بقوله {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[٥]، وقوله {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى (كلمة) سواء بيننا وبينكم}[٦]، وقوله {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا}[٧].

وضرب ابن مريم مثلا للمؤمنين بالرسول والرسالة. {ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون}[٨]، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم}[٩]. إن ابن مريم هو التكوين والمقام الملائكي الساجد للأبوة المقدسة لإنسان آدم.

ففي قائم الحياة تعرف وتشهد الحياة. فما تواجد، في إدراك الوجود غير إنسان الله عرَّفه فعرفه بسبقه في أزله، فتابعه فقامه في أبده، فجدده لمعناه فتأزل بمعناه، فآب إلى أزله وسهر على أبده منه في أبده

له، فدار في دائرته لسرمديته في وحدة وجوده، وواحدية صفاته، وأحديته لمعناه. ذلك هو إنسان الحق أو إنسان الإنسان، أو الظاهر للباطن من الله، أو الكلمة التامة لله، علما على كلمة تامة لله، أو جماع الكلمات لروح الله علما على جماع لكلمات لروح من روح الله في روح الحياة اللانهائي، أو الأب المصطفَى للأب المصطفِي في لانهائي الآباء سواء لمعاني البداية أو لمعاني النهاية.

وعلى تعريف بهذا وتدريك به قامت مناسك الحج لقبلة الصلاة في الإسلام الكتابي الرسالي، بأول بيت وضع للناس للأحياء من عمد الحياة بكشف سر الحياة وأنه في الانتساب لبيت الحياة طوافا ومدخلا بإنسانها القائم، المتجدد، المرفوع، الموضوع، نصبا وبيتا في دوام لا ينقطع وجوده، ولا يتوقف جديده، ولا يتعطل في الناس تجدده. ما انحصر ولن ينحصر عديده. يزداد ويربو ولا يجز مزيده ولا يتعطل اتساعه وانتشاره وتعدده، بتعالي الله بشهوده عن مشهود وجوده وجها له. وبذلك جعل الدين في التعارف إلى إنسان الحياة، المتحرر من أبويه من المادة، من السماوات والأرض آوته عناية الآباء من أهل الرشاد إلى بيوتهم يذكر فيها اسم الله، فكان بذلك محمد والانتساب إليه وإلى بيته وإلى أهل بيته وعترته هو الدين. وفي دعه وإغفال موائد المساكين من أهل بيته من عمد الحياة هو التكذيب بالدين. {أرأيت الذي يكذب بالدين...}[١٠]. وبذلك كان جديد الإنسان لقديم الإنسان هو ثمرة استقامة قلوب الآباء بعثا بالأبناء من الأنبياء لبيت آدم البنوة والرسالة من آدم من أوادم الفطرة والخليقة. وقد جاء الرسول بهذا البيت موضوعا من رفع مظهر بيتين مرفوعين لله لبيوت رفعت لا حصر لها في أمم خلت منهم الأرض، وأولية لبيوت توضع لله لا انقطاع ولا جز لها. وبذلك كان رحمة للعالمين حقا، ما أعطيه فلأمته قدوة وأسوة للكافة. به أتم الله الدين بتمام معناه لوصف الإنسان حقا وخلقا، وفردا وجمعا، وبيتا وأمة، وبشرية إنسانية وإنسانية حقية. فيه قامت قبلة الصلاة والحج والإسلام. من حج ولم يزره فقد جفاه، ومن جفاه فلا إيمان ولا حج له. أول بيت وضع للناس ثمرة استقامة القلوب لبيت النبوة بآدم، ونوح، وإبراهيم، وعمران، أراد الله لأهله الطهارة، وجعل الرسول به قدوة وأسوة، ما أُعطيه فلأمته. به أتم الله الدين بتمام كلمة الله. وبه بدأ الله اليقين بمتابعته رسولا له جماع كلماته وروح قدسه.

جاء رسول الفطرة ومجددها، ونبي الإسلام وعلَمه، ورسول الله وحقه، وعلم الله وكتابه، وفعل الله وبيانه، وهدي الله ومكثه، وجديد أزليه بالإنسان، وأبدي باقيه للإنسان بيت القبلة وجماع أهله، عبادا لله وملائكة له، عبادا لله في قيام من الأبيض والأسود والأحمر لمبانيهم لحقائق الله في معانيهم قامت ذواتهم من النور والنار والتراب، في أحدية وجودهم، وأحدية حقهم للقيام بمعنى وجهه،

وأحدية ظهوره بمعانيهم لمعنى نفسه وعبده، فكان محمد لذلك كل ذلك كله ماء الحياة يسقي نبات الأرض ويحيي أمواتها.

جاء بهذا الخير من ربه إلى بشرية الأرض، إنسان الحق، وعبد المطلق، ونبي الكتاب، ونور الأمم، نبيا للأنبياء، يستوفون في متابعتهم له وصفه، لتمام وصفهم بالعباد لله، وشهيدا على الشهداء، يستكملون في انطباعهم عليه معاني شهادته، وجوها لله، هو لهم وجهه فيستكملون به قدوتهم لأممهم هو لهم قدوة، ورسالتهم إليهم هو لهم رسول.

الله وملائكته يصلون عليه قبلة الرحمة للعالمين والناس.. ما آمنوا بالله في أنفسهم وما سلكوا سبيله في أطوارهم سبيلا لربه كتب على نفسه الرحمة برسالته قبلة لهم مصليا عليه، متصلا به فياضا منه برحمته، يتخلق بخلق معروفه للناس مُعرِّفه قائما على نفوسهم نفسا له، متجها بهم بمعناه من وصف العبد له إلى قبلتهم من أنفسهم، بقلوبهم عبادا له، مشرقا بالنور الذي أنزل معه ولم يرفع رسلا لربه، يقوم ويتقلب في الساجدين هو القائم في معناه، فردا متميزا بمعناه، عنوانا لأحدية عبده جعل له نور يمشي به في الناس، وواحدية جمعه جعل منه أمة بظاهره ذاتا بمعنى خلقه، كتابا للناس، وحوضا لهم ولمعنى توحدهم في وحدانية ربه وقدوة لهم، وأسوة للصبر والتواصي بالحق بينهم، مظهرا لقديم به يتجدد، ليقوم به مظهرا لأقدم بينهم بعثا للحقائق في مواصلة بأحدث لا تنتهي، تعريفا عن بدء لا يدرك، وبشرى بقيام متكامل لا يفتر ولا ينقطع ولا يجز.

فكان بذلك محمد عبد الله وخلقه وحقه ورسوله، غاية الخلق في وصلتهم بالخالق، حقا منه يحتذى، وحوضا منه يورد، وسماء به تستظل، ودارا لرحمته تأوي ويُؤى إليها. أما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بما عرفت منه لك ولهم من نعمة فحدث، بشر ولا تنفر، ويسر ولا تعسر، ولا تمنن تستكثر، ولربك فاصبر. واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولا تعدو عيناك عنهم إلى عباد الدنيا ممن جعلناهم زينة لها إن أردتهم كانت منك إرادة لها.

لقد كان محمد مثلا مبرزا، للغرف والذوات، وللبيوت والقلوب، وللدور والعوالم، وللحضرات بالصفات والجوارح، من الحقائق في الله الواسع القادر العليم، الخالق المنعم الكريم، المبدع المعطي الحكيم، عطاء غير مجذوذ، وخلقا غير منقطع ولا مبدوء، رحمة لا تتوقف، بلا بدء ولا حدوث. كان محمد أول العابدين لمتابعين من العباد لله من بعده في متابعة بهم لعباد لله من قبله ليكون بهم مظهر العابدين له رفيقا لرفيق أعلى فيه لعباد الله من قبله بلا بدء لهم ولا انقطاع لتواجدهم. استراح به البال لطالب الحق لنفسه، ونزلت به السكينة على القلب الدنف لخالقه، والنفس القلقة الحائرة في أمرها، والعقل الطالب المستشرق لحكمة وجوده وتواجده، {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد

وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}[11]، وضع عنهم أوزارهم، وكشف عنهم غطاءهم، فإذا هم وجوه ناضرة لربها ناظرة، تراه بانعكاس وجهه فيهم على مرآة الوجود من حولهم في كل شيء، أينما تولي فوجهه، بلطيف عينه يلحق الأبصار فتبصر إذ تبصرها في معاني الوجه له في كل ما تبصر، كما قال العارفون:

أنا إن رأيت حبيبي بأي عين أراه

بعينه لا بعيني فما يراه سواه[12]

رأوا وجه الله بهم في كل شيء ماثلا.

(وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد)[13]

لم تَفُتهم آياته في أنفسهم وفي الآفاق، وتبين لهم أنه الحق، وقد كشف عنهم الغطاء، فأصبح بصرهم نافذا حديدا، وبصيرتهم عالمة عاملة حكيمة، ماتوا عن أنفسهم وبعثوا بنفسه حقيقة فجاء الحق بهم ببعثهم من موتهم، فغاب عنهم ما جهلوا من أمرهم قبل كشف الغطاء عنهم، وقام ما علموا بعد أن جاءهم العلم بأمرهم أُعطوا الحكمة، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، وما حصلوا على ذلك إلا بصلاتهم بالنبي من أنفسهم بالصلاة عليه قائما متقلبا في الساجدين، يهدي الله إليه المجاهدين فيه غاية لهم ووفاء منه بعهده إليهم. {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}[14] {قل هذه سبيلي...}[15] فتلاقوا بجديد معناهم من الإنسان، بقديم معناهم بالإنسان، في حضرة إنسانه رفيقا أعلى في قائم الحق منه بالإنسان، في القيام بحاضرهم عبدا له فأصبحوا بالله عارفيه ومعرفيه وقد أحاطوا بما شاء أن يحيطوا به من العلم عنه في أنفسهم، قائمة به فيه، قائما عليهم بنوعهم من أنفسهم بإنسان أزلي الربوبية عليهم، ربا للناس، ملكا للناس، إلها للناس، فتوجهوا باسم الله الرحمن الرحيم مستعيذين به قائما في قيامهم عبدا ورسولا من أنفسهم، إلى اسم الله الرحمن الرحيم ربا قيوما هو المعبود الأكبر لشهودهم في الموجود المنفرد في إطلاقه ولانهائيه لا يعزب عن علمه، ولا ينفصل عن وجوده مثقال حبة من خردل في السموات أو في الأرض، غيب السماوات والأرض وشهادتها، ما ظهر في شيء مثل ظهوره بالإنسان، وما عرفه من خلقه عارف على ما عرفه لنفسه الإنسان، وعرَّفه لجنسه بوحدانيته في جمعه.

بذلك عرف الإنسان الله لنفسه، وعرفه معروفا لا يعرف ومجهولا لا يجهل، قائما لا يحضر ولا يستحضر، محيطا لا يحاط به، وموجودا لا يغيب ولا يحدث، يدرك ولا يطلب، ولكن الذي يطلب إنما هو الإنسان فيه، والذي يطلب الإنسان منه ربا بالإنسان الأعلى، فطلب إليه أن يصلي على النبي

فطلب الناس رسول الله لأنفسهم دون أن يؤمنوه في أنفسهم عين ربه بهم، فيطلبوه فيمن حققه لنفسه متكشفا له فيتكشف به لهم عينا قائمة، مبعوثا في القيام، فيطلبون رسول الله عليهم، رفيقا أعلى، ووجها لمطلق الله تعرض عليه أعمالهم، يعبدون له أنفسهم، هم عند قدميه العبيد السعداء، والأحياء الشهداء.. هو الوالد.. هو الأب العلوي.. هو الآب البشري.. هو الأب الإنساني.. هو الحق من الغيب، في حقي الشهادة بالوجود، رأوا وجه الوجود، وجهه من الحق، فطلبوا الأكبر في الشهود، في أنفسهم، للتواجد، بتعبيد أنفسهم له في كل صعود وفي كل وجود وفي كل شهود.. وراءه في ركبه للانهائي الموجود المعبود في تخليهم عنهم من أنفسهم بالحق، إلى من يخلفونهم عنهم في حاضر عوالمهم تخلقا بأخلاق الله في قيامه المطلق بعوالمه معلوما عندهم، معبديهم للأعلى، قوامين على الأدنى برحمته، فبجديد الحق منهم يتكنزون، وبه في التقييد يقومون، وعن عوالمهم في معراج يغيبون فلا يُدركون إلا لعين معانيهم منهم تتواجد لهم يذكرون، ومعهم في معارجهم يتوحدون فيعرفون بذلك معنى الرسول وربه وعبده، ويعرفون معنى الرب يشهدون، وبه يعوذون، والإله له يطلبون، وأنفسهم له في دوام يعبدون، ويعرفون معنى الله للانهائي به يقومون، وفيه يعرجون في حقه وخلقه وشهادته وغيبه، بما يقوم في أنفسهم من العلم عنهم، وعن مطلوبهم المعلوم لهم، وبما يقوم في أنفسهم من الوجود، عن واجب الوجود، معلوما بالوجود، في وجودهم، وفي وجوده محيطا بهم.

بهذا كله جاء رسول الفطرة ومؤسس دينها كتابا وهديا، على ما قامه آدم وليا وأبا وربا وإلها وعبدا، وجدده أبناؤه أنبياء ورسلا، من عرفناه محمدا رسولا وحقا وعبدا. لم يأتِ البشرية من بعد آدم وولده عيسى عليهما السلام كلمتان لله، تم الأكبر والأصغر في طريقه للتمام بخير أفضل مما جاء به محمد. وزاد عليهما كتاب الوجود والحياة كشف به عن الحق ما قبل آدم وأوادمه، وعن الحق ما بعد آدم عيسى وكلمته لكلمات لله لا حصر لها ولا توقف أزلا وأبدا.

{إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم}[١٦]، (عيسى كلمة الله وروح منه)[١٧]، {ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون}[١٨]، وقد تمت بمحمد كلمة الله، وجعل ربه منه للناس قدوة وأسوة، وما أرسله إلا كافة للناس ورحمة للعالمين يأخذ من كل أمة بشهيد، ويأتي به شهيدا على هؤلاء، وهو ما يظهره يوم تستكمل الأرض معنى الإنسان لها به، وهو يوم الفصل في أمر الناس معه يوم تلد الأمة ربها، وتنشق الأرض عنه مبعوثا بالمقام المحمود عند الناس، تعريفا عن المقام المحمد له عند ربه، أحمد مقام أبرزه، وأول بيت وضعه، وأول عقل أكمله وأظهره، ويزيده كمالا وظهورا، وأول إنسان للناس أتمه وأعطاه، ويزيده عطاء وتماما، وأول عبد قبله، ويزيده قبولا، وأول من جعله رحمة للعالمين، ويزيده رحمة بعد أن كانت الرحمة قاصرة على المصطفين وأممهم من بعض بني إبراهيم ومن بعض من حمل مع نوح.

فبمحمد يقدر الله حق قدره، وبه يُعرف الله حق معرفته، وبه يوحد الله حق وحدانيته، وبه يتأحد الله حق أحديته، وبه يعرف الإنسان معناه من معنى الله، ونفسه من نفس الله، ومبناه من ذات الوجود ذاتا لله، الله أقرب إليه من حبل الوريد، قائما على كل نفس بما كسبت.

حقا إنه لم يأتِ رجل هذه الأرض، بعد آدم وعيسى، وما جاءا به من بعض جوانب الحق للناس بخير أفضل مما جاءها به محمد. لقد جاءها بما جاءها به الحق من الله يوم استوى إليها فقدر فيها أقواتها في يومين من حقين استوى بهما إلى السموات. لقد جاءها، بما تمم ويتمم الله به نعمته على آدم، وعلى عيسى وعليه معهما، وبما يضاعف الله به نعمته على محمد وعليهما، وعلى آل محمد، وعلى أصحاب محمد، وعلى أمة محمد، وعلى محمد الناس لله وآدم خلقه، وعلى محمد الله للناس وروح قدسه.

جاءها بلا إله إلا الله في تمام القيام بها تقوم وتشهد، وتُحيي وتُسعد، وتفيض وتجدد، تجعل من الخلق حقا وربا، وتجعل من الحق خلقا وعبدا، وجه الرب وعينه، حتى يُشهد الغيب بعينه، حقا يتواجد، وموجودا لا يغيب، ونورا لا يحتجب، وسرا لا يختفي. هذا هو دين محمد.. وهذا هو كتاب محمد.. وهذه هي شرعة محمد.. وهذه هي سنة محمد.. وهذا هو حديث محمد.. وهذه هي استقامة محمد.. وهذا هو قديم محمد والأقدم.. وهذا هو جديد محمد والأحدث لكل من أراد أن يكون فيه نور محمد بعثا لمحمد، وقياما لمحمد هو الذي يقوم ويتقلب في الساجدين، عبدا لله لا ينقطع جديده، ولا يتوقف بين الناس كوثره ووليده، به تأبد الإنسان بمعناه من الله حقا منه وعبدا له، وبه تأزل الإنسان في وجوده بالله وجها لله ونورا له، وبه تسرمد الإنسان، لا تناله يد البلى، ولا تنقطع عنه يد الإحسان بيتا لله وعالما له، تمتد يد الله تتوفاه في دوام وسلام، ويبقى للناس مُوفيا قبلة وقيام يقوم لا إله إلا الله، ويقوم محمد رسول الله يؤذن في الناس بالحج والصلاة به نشهد وبه نقوم، وإليه نرجع، فنعلم أنه لا إله إلا الله، ونعلم أنه محمد رسول الله.

اللهم يا من أرضيت محمدا، فرضيك عبدا لك، ويا من رضيته فكان حقا لك مرضيا منك، اللهم يا من ارتضيته لنا قدوة، وجعلت في اصطباره علينا لنا أسوة، دلنا عليه بيننا برحمتك لنراه، ونستمع لتلاوته ونجواه، وامنن علينا وتفضل فنتابعه، ونصدق في متابعته، فنتواصى بالحق، ونتواصى بالصبر بيننا لتعبيدنا لنوره، بمخالتله، في مصاحبته، بموادته، اللهم اجعله معتقدنا منا بفضلك حقا منك به تصلح مجاهدتنا، وتستقيم إليك وجهتنا، ونقي عقيدتنا عنه بحقك، حتى نصدق في اتباعه وننسب إلى أتباعه، حتى تبعثه فينا، وتبعثنا فيه، وتبعثه منا، وتبعثنا منه، فنكون بذلك عبادا لك، نشهد وحدانيتك في وحدانيتنا معه، ونشهد به رسالتك في رسالتنا منه، ونؤمن بظاهر حقك به في قائم غيبنا منك، ونؤمن بقائم لانهائيك بلانهائي عطائك به.

اللهم تولَنا فيمن توليت، وارحمنا فيمن رحمت، وخذ بنواصينا إلى الخير، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك، وولِ اللهم أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا وانصرنا على أنفسنا، حكاما ومحكومين، غافلين ويقظين، وارحمنا به يا أرحم الراحمين، يا واسع الرحمة، يا واسع المغفرة، اغفر لنا وتب علينا، لا إله إلا أنت، سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

بعد حضور السيد سلفربرش لأحد المؤتمرات في عالم الروح قال: (لقد استعدت هنالك بعض الفخر الذي كان لي يوما ما. سمح لي مرة أخرى بالمساهمة في آراء الذين يجاهدون لتحسين عالمكم وإعانته على الفلاح. هؤلاء الذين يطمعون في تعجيل كل ما يلزم لعالمكم من إصلاحات. إن العمل الذي أنجزه كثير منا قد استعرض بكل تفاصيله، وأظهر لنا مدى نجاحنا وفشلنا. لقد وضعت الخطط وتألف منهاج العمل الذي ينتظرنا، العمل الذي يجب أن ينجز حتى يمكن تقديم هذه الحقائق التي لا غنى عنها للدور الحالي من تطور عالمكم.

لقد قابلت الكثيرين ممن لديهم الرغبة في خدمتكم، الذين لم يمنعهم الموت من الأعمال الحبيبة إلى قلوبهم. وإذا غفر لي التحدث قليلا عن شخصي، وقليلا ما هو، فلي أن أفخر إذ أقول إني حزت بعض المديح على العمل البسيط الذي تمكنت من إنجازه خلال الشهور القليلة الماضية. إني أشعر أني لا أستحقه لأني لست إلا بوقا لقد كررت رسالة الذين أرسلوني وأنتم أذعتموها.

هذه الحقائق التي نعلنها قد جاءت بالمعرفة والراحة والفرح لكثيرين لم يكونوا يعرفون أين يتجهون، الذين كانت قلوبهم مثقلة مليئة بالحزن وأفعمت عيونهم دموع الأسى.

لقد جلسنا عند أقدام المعلمين الذين هم أعظم منا لنتعلم منهم من الحكمة ما لم يزل يتكشف لنا، كما جلسنا إلى إخوان لنا لنقتسم المعرفة التي حصلناها بيننا).

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة النحل - ١٢٨
٢ سورة النبأ - ٨
٣ سورة آل عمران - ٥٩
٤ سورة آل عمران - ٥٥
٥ سورة آل عمران - ٦٤
٦ سورة آل عمران - ٦٤
٧ سورة آل عمران - ٩٦

٨ سورة الزخرف - ٥٧

٩ سورة الأحزاب - ٦

١٠ سورة الماعون - ١

١١ سورة محمد - ٢

١٢ شعر للشيخ محيي الدين بن عربي في كتاب التجليات الإلهية:إذا تجلى الحبيب باي عينٍ تراه؟ . . . بعينه لا بعيني فما يراه سواه

١٣ من قصيدة للشاعر أبي العتاهية: ولله فِي كلِّ تحرِيكَةٍ وفي كلّ تَسكينَةٍ شاهِدُوفِي كلِّ شيءٍ لَهُ آيةٌ تَدُلّ على أنّهُ الواحِدُ

١٤ سورة العنكبوت - ٦٩

١٥ سورة يوسف - ١٠٨

١٦ سورة آل عمران- ٥٩

١٧ استلهاما من {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ}. سورة النساء- ١٧١

١٨ سورة الزخرف- ٥٧